المعازيم

اعتدت زيارة خالتي وبناتها مرة أو مرتين في الأسبوع، وخاصة بعد أن خطبت ابنتها الكبرى..

وكان مساء يوم خميس عندما توجهت إلى منزلهن للزيارة، وكان المنزل يتكون من طابقين في حي شعبي، كل طابق به شقة واحدة، وكنّ يقطنّ في الطابق الثاني.

وكنت في كل زيارة أجد باب البيت الخشبي الكبير مغلقًا، فأمسك (السماعة) الحديد التي على شكل يد وأطرق بها القرص الحديدي المثبَّت بالباب، فتطل إحداهن من الشرفة وتشد حبلًا مربوطًا بذراع حديدي بالباب يطلق عليه (سقاطة) وتفتح لي الباب وأدخل.

ولكن في هذه المرة، وجدت الباب مفتوحًا على مصراعيه على غير العادة، وكان الدهليز مكتظًا بالناس والكراسي، وفي الوسط كوشة مزينة بأحبال النور الملونة والورود، وعلى كرسيين كبيرين يجلس العروسان في غاية الجمال والأناقة والسعادة ويوزعان

الابتسامات على الحاضرين.

لم تسعفني الذاكرة بالتعرُّف على أحدهم، الرجال بالملابس الرسمية، والسيدات والبنات بفساتين ناصعة البياض.

وفي سرعة البرق تقدم إليّ أحدهم– واضح أنه من أهل الفرح– ودعاني للجلوس بعد أن سحب كرسيًا كانت تجلس عليه طفلة صغيرة.

وجلست مذهولًا، لكني لم أجد من أعرفه أو من يعرفني، وكأنهم من كوكب آخر!

الجميع على درجة عالية من الأناقة والشياكة، ولما جاء دوري اقتادني أحدهم إلى غرفة جانبية لاحظت دخول وخروج المدعوين منها، حاولت الاعتذار ولكن بلا جدوى، وكان (البوفيه المفتوح).

وتناولت العشاء على أنغام موسيقى حالمة لم أعرف مصدرها.. وكلٌ يسأل الآخر عن هويتي، فلم يجد جوابًا!

واستأذنت مهنئًا العروسين، وهممت بصعود السلم المفضي إلى الطابق الثاني (شقة خالتي)، لكني تراجعت عندما نظرت إلى الساعة فوجدتها تقترب من الثانية عشرة منتصف الليل، فأجَّلت زيارة خالتي إلى مساء اليوم التالي..

وفي مساء يوم الجمعة، وفي نفس الموعد توجَّهت إلى بيت

خالتي، فاستقبلتني هي وبناتها بفرحة وبشاشة كالمعتاد، ولكن عتابهن عليّ كان شديدًا لعدم زيارتي لهن أمس كما وعدتهن، فأخبرتهن بأنني حضرت بالأمس، ولم أتمكن من زيارتهن بسبب حفل الزفاف الذي كان عندهن بالطابق الأول.

فارتسمت علامات الذهول والدهشة على وجوههن جميعًا وتساءلن بصوت واحد:

- فرح إيه؟!

فقلت:

- الفرح اللي كان هنا في البيت في الدور الأول.

فكررن السؤال بنفس الدهشة:

- فرح إيه؟!!

وبدهشة أكثر قلت:

- جرى إيه يا جماعة!، إيه الحكاية؟! مش كان فيه فرح هنا إمبارح عند الجماعة اللي تحتيكم؟!

فازدادت دهشتهن وضربن كفًا بكف وسألن للمرة الثالثة:

- فرح!! .. يعني يبقى فيه فرح في بيتنا وإحنا ما نعرفش؟!

فاضطررت أن أقسم لهن بأني جئت إلى هنا البارحة ووجدت عُرسًا بالطابق الأول، وتناولت العشاء ضمن المعازيم.

فأقسمن هن الأخريات بصوت واحد بأنه لم يكن هناك عرسٌ على الإطلاق بالطابق الأول أو بالشارع بأكمله بالأمس.. كما أن الشقة مهجورة منذ سنوات ولم يسكنها أحد بعد وفاة جدتنا!، ولو كان ذلك صحيحًا لكنّ أول المدعوين!

واحترت واحتار دليلي وجلست مذهولًا، ولم أعرف هل أصدق نفسي أم أصدق كلامهن!

وفي صباح اليوم التالي، سألن الجيران فأكدوا صحة كلامهن بأنه لم يحدث ما أخبرتهن به على الإطلاق..

ومن يومها قللت من زياراتي لهذا البيت لأنني كنت أشعر بخوف شديد بمجرد الاقتراب منه.